كريت فى عصر البطالمة

دراسة على نقوش جورتينا(*)

للدكتور عبد العظيم الراعى

كلية الآداب — جامعة القاهرة

١ — الناحية السياسية : إن تاريخ كريت منذ أقدم عصورها التاريخية حتى فجر العصر الهللينستى معروف لنا بوضوح ،نظراً لتوافر المصادر الأدبية وغير الأدبية ويتبين منها دور هذه الجزيرة السياسى والحضارى بالنسبة لأقطار الشرق القديم وبلاد اليونان[١] . أما فيما يخص العصر الهللينستى فإن معلوماتنا عنها ضئيلة جداً ، وذلك بسبب ندرة المصادر بنوعيها — بل حتى الذى وجد منها يكشف لنا النقاب عن أوضاع كريت الداخلية وحياتها الاجتماعية[٢] .

ولقد كان لموقعها الاستراتيجى الهام[٣] وتوافر جنودها المرتزقة[٤] وانتشار أعمال القرصنة بها[٥] ، فضلا عن قربها من اسبرطه ـ نتائج هامة أدت إلى جذبها حيث حلبة الصراع السياسى العالمى منذ نهاية القرن الرابع قبل الميلاد . ففى أثناء فتوحات الإسكندر الأكبر فى الشرق وصلته أنباء مزعجة تفيد بأن اسبرطه التى كانت تكن العداوة لمقدونيا قامت بغزو الجزيرة . وهذا فى حد ذاته يعتبر تهديداً لمؤخرة الفاتح المقدونى . ولبيان ذلك قام اجيسلاوس شقيق ملك اسبرطه آجيس الثالث باحتلال الجزيرة وشد أزره شقيقه آجيس بوصوله إليها على رأس قوات عسكرية . ثم دعى هذا الملك الاسبرطى الدويلات الإغريقية بضرورة

التحالف معه، كما قام بتجنيد عدداً لا بأس به من مرتزقة كريت . عندئذ أصدر الملك المقدونى أوامره إلى رجال بحريته بسرعة التحرك نحو الجزيرة لإنقاذها من براثن الاحتلال الاسبرطى . وأسفرت هذه الحملة عن إخضاع كريت تحت السيطرة المقدونية[٦] . لكنه بعد وفاة الاسكندر لم نعرف عن يقين مصيرها السياسى - بمعنى هل أصبحت تلك الجزيرة تحت إمرة وال مقدونى أم كانت تابعة كغيرها من الدويلات الإغريقية تحت حكم انتباتروس ؟

على كل حال - من المعروف بأن خلفاء الإسكندر تصارعوا من أجل السيطرة على حوض بحر إيجه والجزر اليونانية[٧] . ومن ثم يجب التوقع بأن هـــذه الجزيرة ستكون موضع نزاع مستمر بين الممالك الهلليستية لأهميتها الاستراتيجية والاجتماعية . ومعروف لنا أيضاً بأن المؤرخين اختلفوا فى تحديد طبيعة سياسة مصر الخارجية فى عصر البطالمة الثلاثة الأوائل[٨] - إلا أنه لدينا ما نقوله بخصوص سياستهم التى مارسوها فى منطقة البحر الإيجى والجزر اليونانية أيضاً . ولم يدفعهم إلى هذا سياستهم الاستعمارية فحسب - بل كانت هناك أهدافاً اقتصادية واجتماعية . ولتحقيق هذه الأهداف كان لزاماً على البطالمة إقامة منشآت تجارية وحاميات عسكرية بتلك المناطق[٩] .

وجدير بالذكر أن المؤرخين اختلفوا أيضاً فى معرفة متى بسط البطالمة نفوذهم على كريت . فهناك رأى يقول بأن هذه السيادة بدأت منذ أيام بطلميوس الثانى . وذلك بناء على تفسير قرار التكريم الذى أصدرته مدينة إيتانوس الكريتية تكريماً لأمير البحر البطلمى باتروكلوس[١٠] . ومن ثم فإن زيارة هذا الاميرال لتلك المدينة تعتبر بداية لوصول القوات البطلمية إلى كريت فى الفترة ما بين ٢٧٠ - ٢٦٠ ق.م. لكن هذا لا يعنى بأنه لا توجد علاقات مصرية - كريتية قبيل هذا التاريخ أو أن بطلميوس الأول لم يحاول التحالف مع هذه الجزيرة. إذ لدينا بعض الاعتبارات الهامة تؤكد القول بأن مؤسس الأسرة البطلمية عمل على نشر نفوذه فى كريت منذ بداية حكمه . فلقد استهدفت مصالحه الخارجية

السيطرة على المنطقة التى كانت تتحكم فى المدخل الجنوبى لبلاد اليونان لأغراض سياسية واقتصادية [١١] . كما أنه منذ أواخر القرن الرابع ـ ساعد مرتقة كريت هذا العاهل البطلمى فى إرساء قواعد حكمه بمنطقة اسبدوس [١٢] . فضلا عن وجود البعض منهم ممن عمل فى خدمته داخل مصر [١٣] . زيادة على ذلك ـ أنه أثناء الصراع بين بطلميوس الأول وأنتيجونوس « الأعور » وابنه ديمتريوس من أجل السيطرة على ملكية حوض بحر إيجه ـ طلبت مدينة إيتانوس الحماية المصرية ـ خشية وقوعها فى قبضة انتيجونوس [١٤] . ويحدثنا نقش بأن بطلميوس الثالث قد ورث كريت عن والده وجده [١٥] . وهكذا يمكن القول بأن سوتير قد مهد لخلفائه حكم الجزيرة .

ومنذ أيام حرب خريمونيديس بذل بطلميوس الثانى كل مساعيه لتوطيد نفوذه السياسى والعسكرى فى الجزيرة وأقيمت هناك حامية بطلمية بمدينة ايتانوس [١٦] . ومنها امتد سلطانه إلى بعض المدن الكريتية الأخرى الواقعة على الشاطىء الشمالى للجزيرة مثل أولوس وأبتيرا وريتومانا [١٧] . وبطبيعة الحال ـ كانت تلك المدن بمثابة قواعد عسكرية لتدعيم سياسة البطالمة البحرية بمنطقة بحر إيجه . تابع بطليموس الثالث سياسة أجداده التوسعية وضم إلى مملكته قورينائية وبعد انتصاراته فى الحرب السورية الثالثة نال عدداً من المدن السورية بآسيا الصغرى ـ الأمر الذى ترتب عليه تحالف بعض المدن الكريتية معه مثل اليوتيرنا ولاباوجورتينا [١٨] . وكانت المدينة الأخيرة مركزاً رئيسياً للنفوذ البطلمى فى كريت بعد إيتانوس ـ مما جعلها تساهم فى استقطاب عدداً آخر من المدن الكريتية للانضمام تحت لواء السيادة البطلمية . وحرى بالتنبيه أن نجاح سياسة يورجيتيس الأول فى كريت قد ساعده على بسط سلطانه على معظم حوض بحر إيجه . إذ لم يعد سيداً على جزر الكيكلاديس وساموس فحسب ـ بل امتد نفوذه حتى أقصى شمال الايجى أى إلى ساموتراقى وبعض المناطق بتراقيا [١٩] . ومع هذا ـ فعلى الرغم من عدم معرفتنا امتداد

حدود السيادة البطلمية بمنطقة البحر الإيجى إبان عصر البطالمة الأوائل — إلا أن تعليق المؤرخ بوليبيوس كافياً للقول بأن حكام مصر كانوا ناجحين إلى حد كبير وأن هذا النجاح انعكس على سياستهم فى كريت[٢٠] .

وما أن تولى عرش مصر — بطلميوس الرابع صادفته متاعب داخلية وخارجية خاصة بعد معركة رفح عام ٢١٧ ق.م. لكنه ظل محتفظاً بحاميانه التى كانت منتشرة فى المنطقة الايجية . إذ استمرت المناطق الساحلية فى ليكيا وكاريا وتراقيا وأفيسوس وجزيرة تيرا وساموس ولسبوس تحت النفوذ البطلمى[٢١] . أما كريت لم يتمكن هذا الملك من إحكام قبضته عليها — هذا إذا استثنينا أقوى المعاقل البطلمية وهى ايتانوس . ويرجع سبب ذلك إلى ازدياد نفوذ فيليب الخامس بمنطقة البحر الايجى . فلقد عمل هذا الملك المقدونى على احتلال كريت عام ٢٢٠ — مستغلا فرصة النزاع المصرى — السورى حول ملكية جوف سوريا . ويخبرنا سترابون بأن فيلوباتور فور سماعه بالغزو المقدونى لكريت أرسل قواتاً بطلمية إلى مدينة جورتينا وكانت هذه القوات بضرورة إعادة بناء أسوارها والدفاع عنها ضد أطماع مقدونيا لكن أعمال البناء توقفت[٢٢] . ومرد هذا يرجع إلى التغير الذى طرأ على وضع مصر العسكرى فى هذه المدينة بصفة عامة وفى مصر بصفة خاصة . إذ اضطر فيلوباتور فور اندلاع لهيب الحرب السورية الرابعة إلى استدعاء قواته العاملة فى كريت للاستعانة بهم فى هذه الحرب[٢٣] — مما مكن مقدونيا من احتلال مدينة جورتينا وشجعها على ذلك صديق فيليب وهو أراتون السيكونى والذى نصب حاكما على الجزيرة وعمل على تدعيم النفوذ المقدونى هناك[٢٤] . ودليلنا على هذا — أننا بعد عام ٢٢٠ لم نجد فى الوثائق ما يفيد الوجود البطلمى فى جورتينا[٢٥] .

لكن انهيار النفوذ البطلمى فى كريت وازدياد السيادة المقدونية فيها لا يعنى فى الواقع أن بطالمة مصر الأواخر قد أهملوا شئون الجزيرة . إذ لدينا نقش مؤرخ

منذ أوائل أيام بطلميوس الخامس يؤكد وجود حامية بطلمية باتيانوس[٢٦] . ولكن كما هو معروف أن إبيفانيس ورث عن أبيه مشاكله الداخلية والخارجية. ففي الداخل استمر لهيب الثورات القومية في الاندلاع إلى جانب فساد رجال الحاشية . مما أدى إلى إهمال شئون مصر الخارجية . فضلا عن هذا — طرأت تغييرات دولية بظهور ثلاث قوى تصارعت من أجل السيطرة على حوض بحر إيجه - وهم مقدونيا وسوريا السلوقية ثم روما التي بدأت تمد أنفها في شئون الشرق الهللينستي منذ نهاية القرن الثالث . زيادة على ذلك واجه هذا الملك عدواناً خارجياً على ممتلكاته عبر البحار من قبل السوريين والمقدونيين[٢٧] . ونتيجة لهذه الظروف وهزيمة مصر في الحرب السورية الخامسة لم يفقد البطالمة فلسطين فحسب[٢٨] — بل أيضاً معظم ممتلكاتهم بآسيا الصغرى وجزر بحر إيجه . لذلك كان من الضروري سحب القوات البطلمية من إيتانوس إما لاستخدامها في الحرب السورية الخامسة أو لإخماد لهيب الثورات القومية . أضف إلى هذا — أن كريت وقتذاك تغير وضعها السياسي عما كانت عليه من قبل . إذ بعد التوسع المقدوني فيها منذ الربع الأخير من القرن الثالث - نجد في غضون العشر الأوائل من القرن الثاني - اضمحلال هذا النفوذ وتكالب كل من برجامون ورودس عليها[٢٩] — إلا أن روما وقفت لهما بالمرصاد كي تنفرد بحكم كريت . ويبدو أن بطلميوس الخامس قبل بمحض إرادته الوجود الروماني بها لمناهضة مقدونيا وبرجامون ورودس خاصة بعد انسحاب القوات البطلمية من هناك[٣٠] .

وقع بطلميوس السادس ضحية للنزاع الأسري وتعرضت مصر أيامه للغزو السوري[٣١] ، كما أقلقت مضاجعه الثورات المصرية . ولكن مع مرور الأيام عندما آل حكم سوريا إلى ديمتريوس الثاني سمحت الظروف باستعادة النفوذ البطلمي على كل من ايتانوس وجزيرة ليوكي وجورتينا[٣٢] . ويبدو أن فيلومتر قد تدخل في شئون الجزيرة عندما كان يحكم مصر بمفرده. إذ يحدثنا نقش يفيد

وجود مصريين وطنيين ضمن أفراد الحامية البطلمية بجورتينا[٣٣] — كما أنه لم يشر في الوقت نفسه إلى اسم والدته كليوباترة الأولى أو إلى زوجه كليوباترة الثانية أو إلى بطليموس الثامن . وعليه يمكن القول بأن هذا الملك قد انفرد بحكم الجزيرة ومصر مرتين. الأولى عام ١٧٦ — ١٧٠ ، والثانية مابين ١٦٤ - ١٤٥. ذلك لأن والدته توفيت عام ١٧٦ وكانت شريكة له في الحكم كما أن يورجتيس الثاني قد أشرك معه منذ عام ١٧٠ - ١٤٥[٣٤]. ولكن بعد وفاة فيلوموتر سحبت القوات البطلمية من كريت أي بعد عام ١٤٥ ق.م[٣٥].

جدير بالذكر أن ضعف البطالمة وفقدانهم معظم ممتلكاتهم لا ينفي القول بأنهم قد تخلوا تماماً عن كريت بعد وفاة بطليموس السادس - هذا على الرغم من أن روما حولتها إلى ولاية رومانية عام ٦٧ ق.م[٣٦]. إذ يحدثنا نقش من مدينة جورتيناموَرخ في عام ٥٠ ق.م بأن هناك قواتاً بطلمية مقيمة في الجزيرة[٣٧]. ويخبرنا ديون كاسيوس بأنه في عام ٣٦ منح أنطونيوس كليوباتره السابعة كريت وقورينى[٣٨] . وهناك اشارة صريحة تفيد بأنه حتى أواخر أيام البطالمة كان النفوذ البطلمي مستمراً في كريت وممثلا في استعادة أيديهم على فورينائية وبعض أجزاء أخرى من كريت . ويمكن الافتراض بأن مدينة إيتانوس قد انضمت إلى بقية المدن الكريتية التي آلت ملكيتها إلى ملكة مصر . وهذا ربما يوضح لنا مدى استمرار العلاقات المصرية — الكريتية خلال الفترة التي تلت رحيل القوات البطلمية من ايتانوس . أضف إلى ذلك — أن هناك عدداً من العملات البطلمية سكت في قورينائية وعثر عليها في كريت إبان تلك الفترة ، ونقش عليها بطوليمايس وصورة التمساح - رمز مصر في العصر الروماني . ويبدو أن كراسوس أحد أنصار أنطونيوس قد تولى أمر الدفاع عن كريت لصالح ملكة مصر[٣٩] .

٢ — الناحية الإدارية : ليس لدينا معلومات كافية عن نظام الحكم والإدارة

البطلمية فى كريت وبصفة خاصة فى إيتانوس ، لكن يمكن الافتراض بأن البطالمة اتبعوا نفس سياستهم ونظمهم الإدارية التى مارسوها فى ممتلكاتهم المنتشرة عبر البحار . ومع هذا فمن الغريب حقاً أننا نجد كريت معفاة من الضرائب[٤٠] ـ مما يدفعنا إلى الاستنتاج بأنها كلفت بأعباء أخرى أهمها مسئولية إمداد جنود الحاميات هناك بما يلزمهم من مواد غذائية وثكنات عسكرية وعلف الخيول ـ قياساً على ما حدث بجزيرة تيرا[٤١] .

وعلى الرغم من قلة مصادرنا الخاصة بتنظيم وتشكيل الحاميات البطلمية بمدينة ايتانوس والمدن الكريتية الأخرى ـ إلا أنه يمكن القول بأنها كانت على نمط التنظيم والتشكيلات العسكرية والإدارية فى كل من قبرص وتيرا . ويرى روستوفتزف بأن النظام العسكرى فى تيرا كان مرتبطاً بمواردها المالية والأمر نفسه ينطبق على كريت[٤٢] . إذ وجدنا نقش يشير إلى موظف الايكونوموس وهو الرجل الثانى بعد الحاكم العسكرى فى تيرا ـ وكان هذا الموظف مسئولا عن الشئون الإدارية ـ أى كان يشغل منصب السكرتير (الكاتب العسكرى) لحامية تيرا وامتد نفوذه إلى كريت ومدينة ارسينوى بالبليبونير[٤٣] . وهذا يعنى بأن كريت كانت إدارياً وعسكرياً تابعة لتيرا وبالتالى كانت الأخيرة خاضعة تحت إشراف وزير المالية بالإسكندرية . ولهذا لم نجد فى كريت أى شخص شغل وظيفة القائد العام أى برتبة atrategos ـ هذا إذا صرفنا النظر عن باتروكلوس[٤٤] . لكن الذين شغلوا مناصب عسكرية كانوا يحملون رتباً عسكرية مثل قائد حامية phrourarchos [٤٥] وآخر يحمل رتبة خليارخوس[٤٦] . ويجب أن نتوقع بأن هؤلاء العسكريين وغيرهم من الموظفين نالوا ألقاباً فخرية أسوة بزملائهم من قادة الحاميات البطلمية[٤٧] . لم نعرف بالضبط كم كان عدد العاملين بحاميات كريت إلا أن جنسياتهم واضحة لنا وغالبيتهم من المرتزقة ـ الأمر الذى دفع العـــالم جريفيث إلى القول بأن

المصريين حرموا من حق المشاركة فى حراسة الحاميات البطلمية خارج مصر لعدم ثقة البطالمة فيهم[٤٨] . ويرد عليه بأن وجود المصريين فى الخارج كان أقل خطراً من وجودهم بالداخل — ومن ثم وجدناهم يعملون فى حاميات جزر الكيكلاديس وفى كريت والبيليونيز[٤٩] .

لم تفصح المصادر عن وجود أراض ملكية يقوم بزراعتها فلاحون ملكيون أو أراضى ممنوحة للجنود أو حتى أراض هبات أو أراض موقوفة على المعابد. وبالتالى لم نسمع عن ضريبة الأيوميرا ولا عن المراقب الإدارى epistates ويبدو أن الذى كان يشغل هذه الوظيفة فى تيرا كان مسئولا عن كريت ويعاونه الأيكونوموس فى إدارة أمور الجزيرة . وربما يرجع تفسير هذا الى أن البطالمة كان جل اهتمامهم هو الدفاع فقط عن الجزيرة وحماية أقوى معاقلهم ايتانوس. ويمكن الافتراض بأن سياسة بطليموس الأول الذى قلد فيها انتجونوس الأعور والخاصة بتحرير المدن الإغريقية قد انعكست على ايتانوس وبقية المدن الكريتية الأخرى وقام خلفاء سوتير باتباع هذه السياسة[٥٠] .

أما عن التجارة فعلوماتنا عنها نادرة جداً — لكن يجب التوقع قيام علاقات تجارية خاصة بين الإسكندرية وكريت . إذ صدرت العاصمة البطلمية إلى الجزيرة بعض الأوانى الفخارية لتخزين المواد الغذائية ولتصدير بضائعها فيها . كما استوردت مصر من كريت المعادن والأخشاب وبعض المنتجات والحاصلات الزراعية والأسماك والعبيد . وللأسف لم نسمع عن وكلاء بطلميين للشئون التجارية فى الجزيرة أسوة بما كان فى فلسطين أو الجزر المنتشرة فى بحر إيجه مثل ديلوس ورودس. ويبدو أن التعامل التجارى كان يتم من الإسكندرية إلى الجزيرة مباشرة عن طريق التجار وسفن الشحن الإغريقية التى كانت تقوم بنقل البضائع الى جنوب بلاد اليونان ومنطقة غربى البحر المتوسط . ونتج عن ذلك وجود عملات بطلمية سكت لأغراض تجارية بالإضافة الى العملات المحلية

التى كانت تصدرها المدن الكريتية لتنشيط وتسهيل التجارة بينها وبين أقطار العالم الهللينستى . وكانت تجارة كريت مرتبطة بتجارة حوض بحر ايجه مثلما كانت فى جزيرة تيرا وقبرص ويبـــدو أن المسئول عنها كان موظف الأيكونوموس فى تيرا ويعاونه المراقب الإدارى هناك[٥١] .

٣ – موقف البطالمة من دويلات المدن الكريتية : وجد بكريت أكثر من ٣٠ مدينة مستقلة وسعت كل واحدة لتحقيق حريتها واستقلالها الذاتى[٥٢] . وكانت تلك المدن تتألف من عنصرين هامين – لكن العنصر الدورى كان أهمها . اذ نجده متمركزاً فى كل من براسيوس وهيرابوليانيا ولوتس أما ايتانوس التى كانت موالية للحكم البطلمى كان أغلب سكانها من العنصر الميتوى[٥٣] . لذلك لا بد من وجود خلاف بين هذين العنصرين – أى بين ايتانوس من جهة وبين براسيوس وهيرابوتانيا من جهة أخرى . وكما يرى روستوفتزف – أنه من الصعب الحديث عن تاريخ هذه الجزيرة السياسى والاجتماعى طوال العصر الهللينستى نظراً للخلاف الدائم بين سكانها[٥٤] . ومن ثم انقسمت كريت الى شطرين – الغربى – ويشمل كل من هيرابوتانيا واليروس واسترون ولاتو ثم أولوس . أما الجزء الشرقى والذى كان يعرف اصطلاحاً باسم Eteocretans وأهم مدنه إيتانوس – امبيلوس وبراسيوس . ومع الأيام تغير الوضع فى كريت خاصة بالنسبة لتلك المنطقة التى أطلق عليها بالإيتوكريتية وظهرت ثلاث مدن مستقلة تتنافس كل منهما على مركز الزعامة وتلك المـــدن كانت ايتانوس وبراسيوس وهيرابوتانيا .

جدير بالذكر أن التنافس بين هذه المدن قد جرهم إلى صراع دائم – الأمر الذى جذبهم إلى الدخول فى الصراعات التى دارت بين الممالك الهللينستية . إذ كانت براسيوس مؤيدة لأنتيجونوس الأعور ومعها كنوسوس وكودونيا[٥٥] . وحدث أن اعتدت براسيوس على إيتانوس – مما اضطر الأخيرة إلى طلب

الحماية المصرية . وهذا يفسر لنا اسراع بطليموس الأول لإنقاذها كما يؤيد لنا سبب اهتمام بطليموس الثانى بأمرها أيام حرب خريمونيديس[٥٦] . لكن الوجود البطلمى بإيتانوس لم يثلج صدر مدينة هيرابوتانيا مما عجل بسرعة التصادم بينهما . ويرجع السبب فى تفاقم الأمور بين المدينتين أن البطالمة أباحوا أعمال القرصنة فى بحر إيجه لتنفيذ أغراضهم السياسية[٥٧] . وأخيراً أفضى الصراع بين الدويلات الكريتية — خاصة منذ النصف الثانى من القرن الثالث — إلى التآلف بينهما وتكوين تحالف كونفدرالى للتصدى لأى عدوان خارجى[٥٨] . وبطبيعة الحال — لم يكن فى صالح البطالمة استمرار النزاع بين المدن الكريتية — لهذا رحبوا بذلك التحالف لتثبيت أقدامهم فى الجزيرة .

ولنأتى الآن إلى موقف سوتير تجاه سكان المدن الكريتية — للأسف لم نجد فى أيامه أية إشارات صريحة تكشف لنا موقفه إزاء كريت ذلك لأن سكان الجزيرة إبان عهده كانوا فى حالة صراع مع أنفسهم[٥٩] . لكننا نعرف فقط بأنه استخدم جنودها المرتزقة فى حامياته داخل وخارج مصر . أما عن موقف فيلادلفوس تجاه أهل كريت وبخاصة أهل مدينة إيتانوس فيتضح لنا من وجود باتروكلوس . إذ لم يتدخل هذا الأدميرال البحرى فى حياة المدن السياسية — بمعنى أنه لم يضف جديداً على نظامها السياسى الممثل فى مجلس البولى والجمعية الشعبية . لكن جهوده فى إيتانوس كانت تنحصر فقط فى الدفاع عنها ضد أعدائها . نجح باتروكلوس فى إزالة أسباب الخصومة بينها وبين هيرابوتانيا وبراسيوس . ولهذا اضطرت مدينة كنوسوس إزاء هذا الموقف إلى مصالحة إيتانوس . وبمرور الأيام نالت كنوسوس الزعامة على عدد من المدن الكريتية وأهمها براسيوس وإيتانوس[٦٠] . ويجب أن نعلم بأن باتروكلوس لم يظهر أمام أهل مدينة إيتانوس وكأنه غاز — بل مجرد ضيف حل بها — الأمر الذى جعلها تخلع عليه ألقاب التكريم[٦١] . ولدينا نقش اتيكى يشير بأن بطليموس الثانى قد اعتبر محرراً للمدن اليونانية . وهذا يعنى بأن نفوذ البطالمة

فى أثينا وأسبرطه ساعدهم وبخاصة أيام باتروكلوس فى إرساء قواعدهم بكريت[٦٢]. أضف إلى هذا — إن باتروكلوس قام بزيارة قصيرة لمدينة أولوس مما ساهم فى استقطاب غالبية المدن الكريتية فى صف البطالمة[٦٣] . ومن ثم يمكن القول بأن بطليموس الثانى قد سمحت له الظروف حينئذ — وخاصة بعد استتباب الأمور — فى إنشاء مدينة جديدة حملت اسم زوجته ارسينوى وهى التى كانت تعرف بإيتانوس[٦٤] . وهناك بحـــارة من كريت كانوا تحت إمرة باتروكلوس[٦٥] .

كانت الهيئة الحاكمة فى إيتانوس (أرسينوى) إبان النصف الأول من القرن الثالث — ارستقراطية ولكنها مع الأيام اتخذت الديمقراطية أسلوباً للعمل السياسى بها . ومن المعروف بأن باتروكلوس سعى إلى تهدئة خواطر مواطنى إيتانوس ومن ثم كان مؤيداً لنظام الحكم الارستقراطى ودافع عنه ووقف ضد الذين حاولوا تغيير نظام الحكم . ولهذا كانت تلك الهيئة مؤيدة الوجـود البطلمى وسعت من جانبها على انتشاره فى المدن الكريتية الأخرى[٦٦] .

وبالرغم من توسع نفوذ بطليموس الثالث عسكرياً فى كريت — لكننا لم نسمع شيئاً عن موقفه قبل أهل الجزيرة[٦٧] . ولعل السبب فى ذلك يرجع إلى الوجود المقدونى هناك . إذ قامت مقدونيا بمناهضة النفوذ البطلمى فى كريت عام ٢٣٧ ٢٣٦ق.م وكانت جورتينا مركزاً لهذه الحركة[٦٨] . فلقد قامت هذه المدينة مع أنصارها بغزو لوتوس عام ٢٢١ — ٢٢٠ وكان فيليب الخامس وراء هذه الحركة الأخيرة — بهدف إثارة الفوضى والاضطرابات فى جميع أنحاء كريت . ويستدل ذلك من إرسال مبعوث للقيام بهذه المهمة لتهديد المصالح المصرية فى أقوى المعاقل وهى إيتانوس[٦٩] . وربما هذا يفسر لنا سحب القوات البطلمية فى أيام الحرب السورية الرابعة ـ من هذه المدينة . ولكن هناك رأى يقول بأن تلك القوات قد فشلت فى مقاومة مقدونيا[٧٠] .

ومنذ أيام فيلوياتور حتى أواخر عهد بطليوس السادس لم نجد إشارات صريحة توضح موقف بطالمة مصر الأواخر تجاه دويلات المدن الكريتية . لكننا نسمع عن تحالف فيلوموتر مع الاتحاد الكريتي[٧١] . كما أنه في عام ١٧٦ - ١٦٨ قام هذا العاهل البطلمي بدور الوسيط بين جورتينا وبين كنوسوس وأن موقفه في الجزيرة قد دعم بعد تصالحه مع أخيه الأصغر[٧٢] . ونستشف أيضاً من خلال دراستنا لنقوش الاهداءات التي قدمت للبطالمة بأن كريت كانت إلى حد ما بها أنصار للسياسة البطلمية . هذا بالإضافة إلى وجود أعداد غفيرة من مرتزقة كريت يعملون في خدمة البيت البطلمي في هذه الفترة[٧٣] . ولكن وكما أسلفنا القول، أن النفوذ المقدوني ساهم في مطاردة الوجود البطلمي وطمعت بعض الممالك في كريت لثروتها البشرية - نظراً لقلة عدد المرتزقة ونضوب معينهم في أسواق العالم اليوناني وآسيا الصغرى - بسبب كثرة الحروب الطاحنة التي دارت رحاها بين القوى المتصارعة في هذا العصر وأخيراً آلت الجزيرة إلى السيادة الرومانية .

إن الكريتيين الذين أقاموا في مصر وخارجها أسسوا جمعيات قومية خاصة بهم[٧٤] كما كانت لديهم أندية عسكرية - ديدية أيام بطليوس الثامن[٧٥] . هذا فضلا عن شغل البعض منهم مناصب في مكتبة الإسكندرية[٧٦] . ويمكن القول دون مبالغة بأن النفوذ البطلمي في الجزيرة ظهر واضحاً من خلال انتشار العبادات والآلهة المصرية بكريت . ويرجع السبب في ذلك إلى عاملين - أولهما - وجود المصريين في الحامية البطلمية ، وثانيهما - عن طريق المرتزقة الإغريق الذين أغرتهم الديانة المصرية ومن ثم أدخلوها في أوطانهم بعد عودتهم إليها - وخاصة في جزيرة ديلوس التي ساهمت بقدر كبير في نشر العبادات المصرية في معظم حوض بحر ايجه وشمال مقدونيا[٧٧] . ولدينا نقش من إيتانوس خاص بعبادة الربة المصرية إيزيس[٧٨] ، كما وجدت معابد لسرابيس في لوتوس وتوكيلاسون وفوتيكي وهيرابوتانيا . كما عبدت إيزيس في لاسيا وفايستوس

وفى أولوس ازدهرت عبادة كل من إيزيس وسرابيس . وعثر فى كل من لاتومى وايتانوس على معابد للإله سرابيس[٧٩] . وهكذا غزت العبادات والآلهة المصرية معظم مدن كريت - خاصة ذلك الثالوث - ايزيس وسرابيس ومعهما انوبيس[٨٠] .

وقد ظهر تأثير الديانة المصرية واضحا على عملة المدن المحلية مثل تلك التى وجدت فى كنوسوس . إذ ظهر على عملتها رأس الإله آمون - زيوس[٨١] - ونخلص بالقول بأن البطالمة عملوا على نشر الحضارة الإغريقية فى كريت ويتضح لنا صحة ذلك من حمل البعض من سكانها أسماء الملوك البطالمة وأسماء يونانية ومقدونية[٨٢] .

الحواشى

* أقدم جزيل شكرى للاستاذ الدكتور كايسومينوس أستاذ علم البردى بجامعة تسالوتيكى والأستاذ الدكتور باسيلى مندلاراس أستاذ الأدب الكلاسيكى بجامعة اتينا على ما قدماه لى من عون .

1) G. Glotzy, The Aegean Civilisation, London 1925, pp. 31-41, 157, 202-213, 220-227.

راجع د. عبد اللطيف أحمد على — التاريخ اليونانى — العصر الهللادى — بيروت ١٩٧٤ ، حـ ٢ ، ص ٦٥١ — ٦٦٠ ، ٦٩١ — ٦٩٥ ج — فركوتيه — قدماء المصريين والأغريق — ترجمة محمد على كمال الدين . د. كمال الدسوقى — مراجعة د. محمد صقر خفاجة . انظر أيضا أحدث الدراسات فى

IV International Congress on Cretan Studies Heraclion-Crete, 29 August-3 September 1976, esp. vol. 11, Rev. by A.E. Karathanasis,BS 17 (1976) pp. 386-387.

2) H. Van Effenterre, La Crete et le monde grec de Platon à Polybe, Paris 1948, esp. pp. 31-35.

٣) نال موقع الجزيرة اعجاب الكتاب الاغريق — كارسطو (Politics 1271 (b)) وبوليبيوس (VI, 45,1) وكذلك سترابون (x, 477)

cf. F. W. Walbank, A Hisorical Commentary on Polybius, vol. I, Commentary on Books 1-VI, Oxford 1957, p. 726., Effenerre, op. cit., p. 114.

٤) كانت كريت مزدهرة بشريا على عكس معظم الدويلات الاغريقية . انظر :

E. Makarojiannakis, Crete during the Hellenistic Period, Diss. Athens 1967, pp. 34 sqq. (in Greek). cf. S. Spyridakis, Ptolemaic Itanos and Hellenistic Crete, Brekeley 1970, pp. 42-45.

5) M. Rostovtzeff, The Social and Economic History of the Hellenistic World, Oxford 1951, vol. I, p. 785, Effenterre, op. cit., pp. 212, 302.

6) Arrian, Anab., 1, 25, 9, 11, 13, 6, 111, 2, 6, Curt., 111, 1, 10 cf. E. Badian, Agis 111, Hermes 95 (1967) pp. 117-120.

7) E. Will, Histoire politique du monde Hellénistique, Nancy 1966, vol. 1, pp. 59-64.

8) P. Jouguet, Macedonian Imperialism and the Hellenisation of the East, London 1928, pp. 241 sqq., E. Will, op. cit., pp. 133-186

وعن راى ارانجو رويز انظر مناقشته عند د. محمود السقا ــ تاريخ القانون المصرى ــ القاهرة ١٩٧٢ ، ص ٧٩ ــ ٨٠ .

٩) عن الحاميات البطلمية فى الخارج انظر :

W. Peremans-E Van T-Dack, Prolégoménes a une étude concernant le Commandant de place lagide en dehors de l'Egypte, P. Lugd. Bat., Leiden 1968, vol. XVII, pp. 81-99.

راجع أيضا أحدث الدراسات للعـــالم الأمريكى :

R.S. Bagnall, The Administration of the Ptolemaic Possessions outside Egypt, Leiden 1976.

10) M. Gaurdicci, Inscriptiones Creticae opera et Consilio F. Halbherr Collectae, Rome, 4 vols. 1935-50 (cited IV), vol. III, no. 7, cf. W. Dittenberger, Sylloge inscriptionum Graecorum, Hildesheim 1960, 4th. ed., (cited. Syll., no. 526.

يرى لونيه (REA 17 (1915) p. 36-37) بأن زيارة باتروكلوس حدثت فى بداية حرب خريمونيديس أى فى عام ٢٦٦ لكن ديتنبرجر فى تعليقه على النقش رقم OGIS no. 45. يعتقد بأن هذا الادميرال أبحر أولا الى الخليج السارونى ثم وصل الى كريت بعد ذلك . أما بفان فيرى بأن هـــذه الزيارة حدثت اما أثناء حرب خريمونيديس أو بعدها بقليل .

A History of Egypt under the Ptolemaic Dynasty, rep. chicago 1968, p. 63.

لكن Effenterre, p. 248 يرى بأنها تمت فى الفترة ما بين ٢٧٠ ــ ٢٦٥ . وعن تفاصيل أكثر انظر :
spyridakis, op. cit., p. 70, fn. 5.

١١) ترى مرجريتا جاردوتشى (IC 11, p. 85) بأن سوتير سيطر على اتيانوس وتعارض راى ربناك فى مقالته
inscriptions d'Itanos, REG 24 (1911) pp. 337-425,esp. pp. 395-397.

12) Spyridakis, op. cit., p. 76, Bagnall, op. cit., pp. 111-112, Rostovtzeff, op. cit., p. 1315, fn. 7.

١٣) بالاضافة الى الضابط الكريتى براكسا جوراس الذى خدم فى قبرص ــ هناك آخرون عملوا فى خدمة سوتير بأقليم أوكسيرينخوس . وحوالى عام ٢٦٣ وجدنا ضابطا كريتيا من أبناء السلالة «Krês tês epigonês» مما يدل على أن والده كان فى خدمة بطلميوس الأول . وهناك آخر من كريت يدعى نومينوس كان فى حامية الفنتين ــ (P. Eleph. 2.). انظر بصفة خاصة M. Launey, Recherches sur les armées hellénistiques, 2 vols. Paris 1949-50, vol. I, pp. 249-250

14) E. Will, op. cit., 1, p. 63.

15) IC 111, no. 4, p. 83, Syll. no. 463, «epeidê Basileus Ptolemaios/paralabôn ton Itanion polin kai politas para to potros Basileôs Ptolemaiô kai ton progronon».

16) IC. 111, no. 2, p. 82, OGIS, no. 45.

17) Effenterre, op. cit., pp. 219-222, Makaro J. iannakis, op. cit., pp. 32-36.

18) IC 11, pp. 221, 268, 111, no. 4, p. 83 (Itanos), 11, no. 24, p. 164, (Eleutherna) 11, no. 2, p. 22 (Phalasarna) 11, no. 11, p. 65, (Lappa).

19) Bouchè-Leclercq. Histoire des Lagides, Paris 1903, vol. 1, p. 263.

وعن ساموتراقى ــ انظر : IG XII, 8, 157.
Bagnall, op. cit., pp. 80, 151, 159. انظر كذلك

20) Polyb., V. 34, 8, «kai porrôteron eti poleôn kyrieuontes.» cf. Walkank, op. cit., I, pp. 565-566.

21) Spyridakis, op. cit., p. 95.

22) X, 478 : «ho Philopatôr Ptolemaîos armenos teichizein (tén Gortyna) hason epi oghdoêkonta stadious parêlthen monon» cf. Effenterre, op. cit., p. 253.

23) Polyb., V. 65, 7 «echôn tous mên pantas Krêtas eis trischioius,» cf. ibid., V, 63, 12; X,65, 7, W. Peremans, Notes sur la bataille de Raphie, Aegyptus 31 (1951) pp. 214 sqq.

24) Spyridakis, op. cit., p. 96 fn 117.

25) Makaro J. iannakis, op. cit., pp. 19-21.

26) W. Peremans et alii, Prosop. Ptolem., vi, no. 15130.

27) D. Magie, The agreement between Philip V and Antiochus 111 for partition of the Egyptian Empire, JRS 29 (1939) pp. 32-44, cf. E. Will, op. cit., 11, pp. 98-101.

انظر أيضا د. ابراهيم نصحى ــ تاريخ مصر فى عصر البطالمة . القاهرة ١٩٦٦، حـ ١ ص ١٥٠ حاشية رقم ١ ، ٤ .

٢٨) انظر بحثى . تاريخ فلسطين فى عصر البطالمة ــ دراسة على أوراق البردى . الموسم الثقافى للجمعية التاريخية المصرية ــ ١٩٧٨ ، ص ١ ــ ٥٠ .

29) G. Starr, Rhodos and Pergamum 201-200 B.C., cl. Ph. 23 (1938) pp. 63 sqq. E. Will., op. cit., 11, pp. 63-65, 108-113.

30) Spyridakis, op. cit., p. 84, but Bagnall, op. cit., p. 118, doubting.

31) J.W. Swain, Antiochus Epiphanes and Egypt, cl. Ph. 49 (1944) pp. 73 sqq. cf. E. Will, op. cit., 11, pp. 259-274.

32) IC 111, no. 9 AB, «echon/tes de nêsous kai memomenoi en ais kai tên kaloumenên Leukên—» 111, no. 9 B, p. 99. «eis tên nêson phrouriou— eis tê nêson pollakis stratiotôn grammatôn te apostolais...»

33) IC IV, no. 195, p. 274. cf. IG XII, no. 466., OGIS, 102.

وكان عددهم ستة أفراد عرفوا بأسمائهم المصرية الخالصة . وهم كالاتى

(1) Pathris son of Inarâs, (2) Nechthis son of Paîs, (3) Onnophris son of Horus, (4) Keleêsis son of Petasiris, (5) Psenobastis son of Athonnôphris, (6) (Orse) nophis.

لكن رينالك فى مقالته السالفة ص ٤١٣ يرى بأن وجود المصريين هناك كان لأهداف دينية بحتة . ونحن لا نتفق معه اذ لم يكن هم المصريين فى الخارج هو نشر العبادة المصرية — بل لأعمال عسكرية وتجارية أيضا اذ انتشرت الالهة المصرية فى الخارج عن طريق التجار والجنود المرتزقة الأغريق وكذلك بفضل الدعاية الدينية التى روجها وكلاء البطالمة المنتشرون عبر البحار .

34) P.W. Pestman, Chronologië Egyptienne d'après les textes démotiques, P. lugd. Bat., XV, Leiden 1967, pp. 46-55.

35) Makarojiannakis, op. cit., pp. 43-45.

36) Th. Ch. Sarakakis, The Eatern Policy of Rome, Thessaloniki, 1975 pp. 19-25 (in Greek).

37) IC IV, 215 (C), p. 288.

«G. Iyt (o) atios kai Crispos stratiotês Pto [lemaîkos] Gortyniôn proxenos kai polîtas autos kai engonoi.»

38) 49, 32, 5 «Krêtês te tina kai Cyrênêne».

٣٩) انظر بالتفصيل : Spyridakis, pp. 80, 87-88.

40) M. Rostovtzeff, op. cit., 1, p. 333.

41) ibid., p. 334.

42) ibid., p. 1398, fn. 129.

43) IG XII, 466 «ho grammateus ton kata krêtên kai Theran kai Arsinoên ten en tê Peloponnesô stratioton kai machimôn kai oikonomos tôn auton topôn...»

44) Peremans et alii, op. cit., no, 15063.

45) ibid., nos. 15117, 15130.

وعن اختصاصات شاغل هذه الوظيفة انظر :

Peremans, Prolegomenes..., pp. 88-87, Bagnall, op. cit., p. 50.

46) Peremans et alii, op. cit., no. 15130.

وجدت هذه الرتبة العسكرية فى جيش الاسكندر وخلفائه وطبقا لديودروس نقلت من الفرس (XVII, 48, 4)

cf. W. Tarn, Alexander the Great, Cambridge 1948, vol. II, p. 167.

47) L. Mooren, The Aulic titulature in Ptolemaic Egypt, Introduction and Prosopography, Leiden 1975, no. 367.

48) The Mercenaries of the Hellenistic World, Cambridge 1935, p. 133.

٤٩) راجع للمؤلف رسالة الدكتوراه غير منشورة .

Native Egyptians in the Ptolemaic army, Thessaloniki 1974, p. 86. cf. also IC IV, p. 274.

50) E. Will, op. cit., I, pp. 59-64.

51) Rostovtzeff, op. cit., p. 1406, fn. 163, Spyridakis, op. cit., pp. 17, 42, 44.

٥٢) ورد عند الشاعر هوميروس أن كريت بها حوالى ١٠٠ مدينة وفى الأوديسا أشار بوجود ٩٠ مدينة . ومن ثم تضاربت أقوال الكتاب فى تحديد عدد المدن الكريتية فى العصر الهلادى والكلاسيكى . ولكنه طبقا لما ورد فى (Syll., no. 647) كان بها ابان العصر الهلليستنى ٣٠ مدينة .

53) Spyridakis, op. cit., pp. 20-21, Makarojiannakis, op. cit., pp. 14-17.

54) op. cit., p. 247.

55) G. Cardinale, Crete e le grandi potenze ellenistiche. RSA 9 (1904-5) pp. 69-94.

56) ibid., pp. 75-77.

57) A.H. Ormerod, Piracy in Ancient World, London 1924, pp. 146-148, W. Tarn-G.T. Griffith, Hellenistic civilisation, London 1966, p. 92.

58) R.F. Willetts, Aristocratic Society in Ancient Crete, London 1965, pp. 227-228, Effenterre, op. cit., pp. 41-52.

59) Makaro Jiannakis, op. cit., pp. 43-45.

60) Willetts, op. cit., pp. 128-129, Effenterre, op. cit., pp. 169, 219.

61) IC 111, nos. 2, 3, pp. 8, 83, OGIS, 145 «polla/synergêse/tois Itaniois ho/pôs ta te kata tên polin/asphaleôs echêi politeuome/nônton itaniôn kata tous/nomous kai tan chôran meta/pasas asphaleias nemôntai...» انظر ادناه حاشية ٦٣

62) Syll., nos. 433-434, 25 sqq. «Kai Krêtaeôn hosoi eisin en tei symm/achiaitei Lakedaemoniôn kai Areôs»., ibid., 16 sq. «ho te Basileus Ptolemoios spoudazôn hyper tês koinês tôn Hellênôn eleutherias».

63) IC 1, no. 4 (a), pp. 247-248, Col. V, 35 eq. «Epi damiourgou leukou edoxe tois politais pro/xenos hêmen kai euergetas Patroklon Patrônos Makedona».

64) Effenterre, op. cit., pp. 247-248.

65) Launey, op. cit., I, p. 250.

66) Willetts, op. cit., pp. 128-129, Effenterre, op. cit., pp. 169-170.

٦٧) ومع ذلك لدينا نقش من ايثانوس يفيد بأن أهلها خلعوا عليه وعلى زوجه برنيكى القاب التكريم ــ انظر :

IC 111, no. 4, p. 83, Syll. 463.

68) ibid., IV, no. 167, p. 229.

٦٩) أرسل فيليب الخامس مبعوثه الخاص وهو برديكاس الى كريت

Ibid., 1, no. 52, p. 62.

70) Spyridakis, op. cit., p. 96.

71) IC 111, no. 9, p. 100, 107 sq. [egnomen] gar tên tou basileôs Ptolemlaiou prostasian kai [kekyrome] nên para tou koin «ou ton Krêtaieôn....»

72) IC 111, no. 9 A, p. 96, 43 sq. «teleutêsantos de tou Philometoros Ptolemaiou kai ton apostalenton hyp autou charin tou synte/ rein Itaniois tên te chôran kai tas nêsous apallagenton,,,», cf. ibid. 37-44.

(٧٣ يرى لوتيه (op. cit., I, p. 249) بأن أكبر عدد من الكرتيين المرتزقة خدموا فى عصر البطالمة الأوائل ــ وبالتحديد فى الفترة ما بين ٢٨٠ ــ ٢٤٠ ق.م . وهذا يفسر لنا عمق النفوذ البطلمى فى كريت . لكن ذلك لا يعنى بأنهم أصبحوا بعد هذا التاريخ أقلية . اذ سمعنا عن اشتراكهم فى معركة رفح ٢١٧ . كما وجد فى حامية الاسكندرية عام ٢٢٢ ــ ٢٢١ حوالى الف كريتى . انظر :

Launey, op. cit., pp. 269 sqq., cf. P.M. Fraser, Ptolemaic Alexandria Oxford 1972, I, p. 70, 11, p. 153, fns. 228-229.

وفى أيام بطلميوس الثامن كان سوتير يخوس أحد مواطنى جورتينا برتبة رئيس هيئة الحرس الخاص archisom-atophylakes وعمل تحت أمرة باؤوس الحاكم العسكرى العام المصرى الجنسية ــ وكلف بحراسة طرق التجارة من بلاد العرب والهند انظر :

Peremans et alii, no. 4321

هذا بخلاف الذين خدموا فى قبرص .

OGIS, 108, 113.

74) SEG, XIII, 553, cf. Launey, op. cit., I, p. 273; Griffith, op. cit., pp. 133-134.

75) Willetts, op. cit., p. 227.

76) Peremans, op. cit., nos. 4337, 16518.

(٧٧ عن العبادات المصرية فى مقدونيا ــ انظر :

S. Dull, De Macedonum Sacris, pp. 316-323, R. Witt, The Egyptian Cults in Ancient Macedonia, pp. 324-332 (in Papers read at the first International Sympasium held in Thessaloniki, 26-29 August 1968, Thessaloniki 1970.

أما عن كريت انظر بصفة عامة :

P.M. Fraser, Two Studies on the cult of Sarapis in the Hellenistic World, opsc. Ath. 3 (1960) esp. pp. 30-31.

78) ICI; no. 3, p. 35, Fraser, op. cit., p. 31, fn. 5.

٧٩) ICI, p. 182, (لاتوس) و , ibid., 11, no. 1., p. 230, (فونيكى) , ibid., 1, no. 2, p. 106 (توكيلاسون) ibid., 11, no. 7 (أولوس) , ibid., 1, no. 47, (هيرايونانيا) ibid., 1, no. 11, p. 255 (لاتوس) ibid., 1, no. 3, p. 35, (ايتانوس) cf. Reinach, op. cit., p. 414 sqq, Fraser, op. cit., pp. 30-31, ibid., Ptolem. Alex. I, p. 582, 11, p. 826, fns, 218-219.

80) ICI, p. 10.

81) D.S. Pendlebury, The Archaeology of Crete, An Introduction, London 1971, p. 359.

٨٢) اليك على سبيل المثال لا الحصر ــ حمــل اهل حورتينا وابيترا اسم مؤسس البطلمية ــ انظر :

IG XII, 8, 157, IC 11, no. 11 (a), p. 28.

ومؤنث اسم بطلميوس وجد فى مدينة اركاديس

ICI, no. 29, p. 20.

وكذلك اسم سرابيس وصيغة المؤنث

ICI, no. 39, p. 77.

وكليوباترة حملته سيدة من مدينة لوتوس

ICI, no. 117, p. 215.

وامونيوس فى اتيانوس

SEG 111, 774.

وفى كاتانوس وجد ايسدورس

IC 11, no. 5, p. 87.

N.B. ــ الى اللقاء مع « ديلوس فى عصر البطالمة » ــ تحت الطبع .